



كتب وكتّاب

ميرال الطّحاوي تحتفي بشعر الحبّ عند نساء البدو

المصدر: القاهرة- النهار العربي 22:17 | 24-05-2021

علي عطا



القاهرة، باقتباس من كتاب "حديث الأربعاء" لعميد الأدب العربي طه حسين عن أهمية الاختيار بين رضا العلم ورضا الجماهير. فهي هنا تكمل ثلاثية بحثية بدأتها بكتاب "الأنثى المقدسة: أساطير المرأة في الصحراء" (دار بتانة)، ثم كتاب "بنت شيخ العربان" (دار العين). والجهد البحثي الأكاديمي في هذه الأعمال، تبرز في ثناياها شذرات مهمة من سيرة الطحاوي العائلية والأدبية؛ لجهة نشأتها في بيئة تتشبه بدويتها الموشكة على الأفول، ولكونها كذلك كاتبة تصنّف رواياتها على أنها من أدب الصحراء والبدو والبادية. ثلاثيتها الروائية: "الخباء"، و"الباذنجانة الزرقاء"، و"نقرات الطباء"، تدور في هذا الفلك الذي لم تستطع الإفلات منه في رواية رابعة هي "بروكلين هايتس"، مع أن مركز حوادثها هو الولايات المتحدة الأميركية، حيث تعمل وتعيش منذ نحو عقدين من الزمن.





ميرال الطحاوي

البداءة وموروثها الشفهي

في كتاب "بعيدة برقة على المرسال" تؤكد ميرال الطحاوي مجددًا ما تؤمن به بخصوص "البداءة" التي ترى أنها ليست خيارًا مكانيًا تموضع فيه نفسها ككاتبة لادعاء الجدة أو الغرابة، كما أنها ليست أرضًا معرفية وطائها لتجربتها بسهولة، بحسب تعبيرها.

وهي هنا تؤكد كذلك، في سياق سيرتها الذاتية: "لم أكن أنتمي إلى دوائر المثقفين، وكان كل ما شجعني على الكتابة هو ذلك الموروث الشفهي الذي تصدح به النساء حولي".

بذلك يحدث الطحاوي، صاحبة صوت متفرد في الوسط الأدبي المصغر، خصوصًا

تقول: "عاشت البداوة ونمت كثافة مروية تقّات على التراث والتاريخ القبلي الشفهي المتداول، ديوان القبيلة، مآثورها من الأساطير والمرويات والأهازيج والأغاني، التي لا تشبه ما يشكل وجدان الآخرين حولهم". وتتذكر في هذا الصدد أن جدتها "كان صوتها يرف بالمغاني البدوية. كان يحمل هذا الحنين الضاري إلى الخلاء والجبال والصحراء المفقودة. تلك الأهازيج كانت هي ذاكرة القبيلة التي لا يمكن محوها". عائلتها استقرت في "نجع العريان"، حاضرة قروية في محافظة الشرقية في مصر، ومن هنا أصبحت "بنت عرب، تعيش حياتها مرتبطة بهذا النسب، فهي ابنة فلان، وأخت إعلان وأم تركان. إنها غير موجودة بالضرورة؛ "لأن هناك دائمًا من يمثلها ويتحدث نيابة عنها، مثل الناقة الطوع، لا ترفع رأسها ولا تشرد عن القطيع". أما الصحراء فهي عندها "ليست جغرافيا"، والبدو "ليسوا بدوًا دائمًا، بعدما سكنوا الحواضر". والبداوة في صورتها "عزلة ثقافية، تحيط بها أسوار من التقاليد والعادات والأصول المتوارثة".



يتعلق بالخلط بين "العربان" و"العجر"، بل وحتى بين "العربان" الذين حافظوا على هويتهم بالامتناع عن الاختلاط بغيرهم، وبين أولئك المنحدرين من قبائل عربية، ثم ما لبثوا أن "استفلحوا"، أي صاروا فلاحين يزرعون الأرض، ولا يبالون بمصاهرة غيرهم ممن "لا أصل لهم".

وفي فصل عنوانه "عربان المتخيل الفني"، تلاحظ الطحاوي أنّ الأعمال الأدبية والسينمائية، مارست أيضاً هذا الخلط بين العربان (القبائل العربية)، وبين البدو الرحل والغنّامة والعجر المتنقلين.

صورة البدوي مثلاً في بعض الأعمال الأدبية الكبرى، مثل رواية "قلب الليل" لنجيب محفوظ، و"دعاء الكروان" لطف حسين، "هي أقرب إلى صورة العجر منها إلى أي شيء آخر". وهذان المثلان يؤكدان- بحسب الكاتبة - أن "المجتمعات القبلية في مصر كانت وما زالت مغلقة؛ ولذلك كان الاقتراب منها أديباً محفوظاً بالمخاطر، فضلاً عن المغالطات".

أما أشعار الحب عند نساء البدو، وهي موضوع هذا الكتاب، فقد سبق أن خصصت لها ميرال الطحاوي كتابها "بنت شيخ العربان"، بغية التعريف بها وتأصيلها، وهنا تورد لها نماذج مختارة تنتمي إلى ما يسمى "غناوة العَلَم". و"العَلَم هو المحبوب المقصود، والمضمر في البيت، والمكنى عنه بلفظة تدلّ عليه، ولا يحتاج إلى إشارة. العلم هو محور الغناوة، وهو المتلقي، المُرسَل إليه تلك الرسائل العاطفية المُشَقَّرَة. الغلم قد يكون مذكراً أو مؤنثاً، فالدلالة الغامضة للفظ تشي بكل التكهنات" (ص 69).

الغناوة

تم الطحاوي أن "شعر الغناوة في طبعته مقولون تداوله قد شكّل محلاً

لا نستطيع التوثيق منها، يمكننا فقط النظر إلى طبيعة ووظيفة هذا النوع الشعري التراسلية، فالغناوة رسالة عشق قصيرة مؤثرة تقتضي التبادل". وفي الكثير من النصوص - تضيف الطحاوي - ثمة صوت أنثوي يرد، أو على الأقل يستقبل تلك النصوص، ويمكن التكهن من خلال المحتوى التراسلي بأن الغناوة كانت أداة التواصل العاطفي (المكاتبة) بين المحبين، ولذلك ظلت تحكمها قوانين خاصة تحدُّ من مشاركة النساء في تداولها؛ كي لا يتم تفسيرها ضمناً باعتبارها نوعاً من المكاتبات العاطفية التي تحمل خرقاً لقواعد الحشمة.

أما برقة التي "ليست بعيدة عن المرسال"، فهي "موطن الغناوة"، بحسب ميرال الطحاوي، التي لاحظت أن هذا النطاق الجغرافي الليبي يبدو في التراث الشعبي البدوي - على الأقل في تراث عرب التغريبة - يبدو كأنه الفردوس المفقود، فبرقة هي أرض المحبة البعيدة، التي تستحضرها غناوة العلم بشجن وحنين أبديين، يشير إليها "الغناوي" باعتبارها "أرسام وحدود".

وتلاحظ الكاتبة كذلك أن التماس الجغرافي في الحدود بين وادي النيل والصحراء الليبية حدوداً جغرافية شاسعة فقط، شهدت نزاعات سياسية، ولكنه كان في الحقيقة خط الفصل والوصل بين ثقافتين متجاورتين ومتنازعتين، فقد كانت غارات القبائل على غرب الدلتا لا تنقطع منذ فجر التاريخ، وكذلك كانت الغارات المضادة والحملات العسكرية في عهد قدماء المصريين تتدخل وتصل إلى برقة، وتخضعها أحياناً.





لوحة "بدو في الصحراء" للفنان الفرنسي المستشرق يوجين جيرارديت

بين مصر وليبيا

يترنم "الغنائي" بالأغاني التي تستحضر هذا الوطن قائلاً: "بعيدة برقة على المرسل"، فيما تعتبر أشعار الغناوة في هذا السياق من أكثر الأشعار تداولاً وترددًا بين قبائل مصر جنوبًا وشرقًا، وقبائل الغرب الليبي، وهذا الاتساع والانتشار- كما تقول الطحاوي- كان لأسباب فنية، فهي أشعار قصيرة؛ بيت شعري واحد، ويسهل حفظها وترديدها.

أما الميراث الشفهي النسوي في هذا المجال، والذي تم إغفاله عمداً، فهو؛ بحسب الكاتبة، مشترك إنساني، ومنه شعر نساء البشتون، والأشعار الهندية القديمة، وشعر نساء الصين... "شعر مروي تم تدوينه باعتباره مادة أنثروبولوجية. لكن مؤخرًا أسهمت دراسات أكاديمية في إثارة عدد من الأسئلة المهمة عن طبيعة المادة الفولكلورية التي تم جمعها من المجال العام، الذي يسيطر عليه الرجال، والذي يمثل المرجع الأول للتدوين الشفهي، وإهمال المجال الخاص الذي تبعد فيه النساء، أو "الشعر النسائي الشفهي"؛ لأنه عادة ما يكون مهمشاً، ويتعذر الوصول إليه، لأنه غالباً ما يكون مسيجاً بالعادات والتقاليد التي تحيط بمجتمعات النساء.

علم سبيل المثال قامت مائة وستة وستين دراسة حول الشعر النسائي المعاصر



في حقول الأدب الشعبي، بحثا عن أشعار الحب في التراث النسائي البدوي، لتقدم مختارات من أخصب نصوص الحب والفقد والرتاء في الذاكرة النسوية. لا يكشف الكتاب فقط الخرائط الثقافية لمولد وتطور "الغناوة"، أو شعر الحب الشفاهي البدوي في مصر وإقليم برقة الليبي، بل يقدم للقارئ صوراً شعرية فائقة لأشكال بوح النساء بالمحبة، من خلال مجموعة منتقاة من النصوص الشعرية التي تعكس هذه المشاعر المحظورة والمسكوت عنها في تاريخ الأدب الشفاهي النسوي.

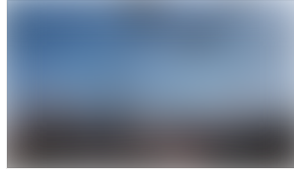
الكلمات الدالة

ميرال الطحاوي

بعيدة برقة على المرسل

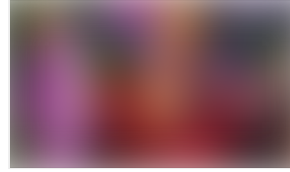


أخبار المحرر



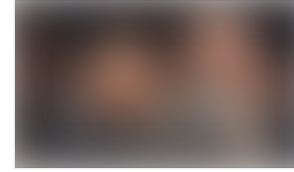
من العالم

جامعة الملك
عبدالعزیز فی
الصدارة... 75 جامعة
عربية ضمن الأفضل



أخبار

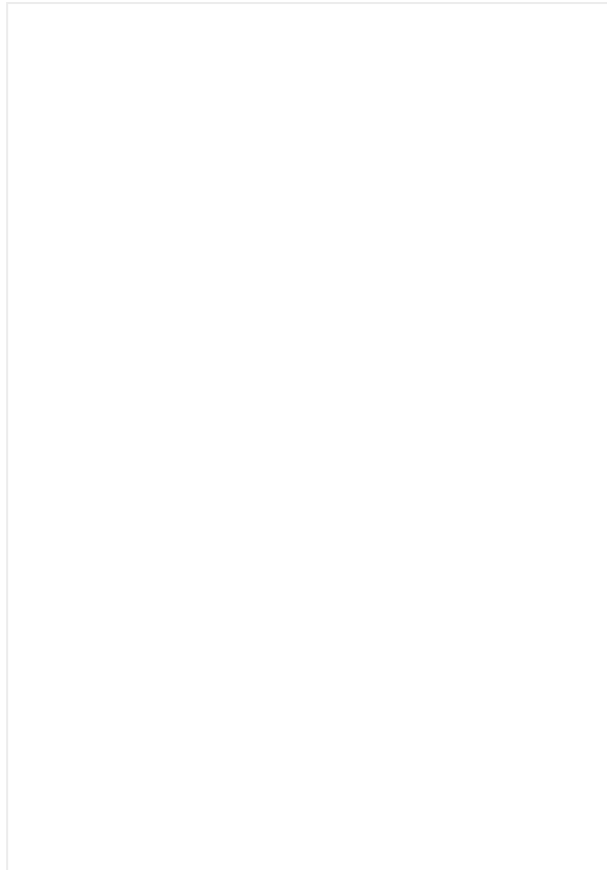
بعد الإساءة الى أم
كلثوم... "الرمز" في
زمن التراندا!



كُتّاب النهار العربي

الصّين.. هل آن زمن
الخيارات المؤجّلة؟

عالمياً في أحدث
تصنيف دولي





أخبار ذات صلة

أخبار

الكاتبة ميرال الطحاوي: المنفى يثير الأحران... ويُحفّز...



كتب وكتّاب

"بعيدة برقة على المرسال" كتاب جديد للروائية
ميرال...



الأكثر مشاهدة

فن



هيريويين...


كُتَاب النهار العربي

قول الحقيقة لصاحب السلطة... كيف تدمر صداقة
عمرها عقود...



كُتَاب النهار العربي

من فلسفة الفشل عند شبابنا إلى تجربة النجاح



كُتَاب النهار العربي

حوار سياسي مع صديق... عندما يفقد الأكاديمي
حياده...



كُتَاب النهار العربي

من كورونا إلى أوكرانيا... هل نجا العالم من الوباء...





للإطلاع على أزر الأخبار والأحداث اليومية في لبنان والعالم



سياسة

الحدث

رياضة

ثقافة

اقتصاد

مقالات

لايف ستايل

هل تريد الاشتراك في نشرتنا الاخباريّة؟

سجل بريدك الإلكتروني هنا

تابعنا على